البعد الديني في العلاقات الدولية

- دراسة حالة السياسة الخارجية الإيرانية إزاء إسرائيل -

د. رجب عمر العاتي*

ملخص البحث:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى التعرف على تأثير العامل الديني في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، وتوضيح مدى أهمية هذا العنصر (الدين)، وذلك نظراً لدوره المتصاعد والمستمر خاصة بعد انتهاء الحرب وانهيار الاتحاد السوفيتي، حيث يساعد ذلك على فهم الكثير من القضايا المطروحة في العالم والتي ترد في كثير من الأحيان لأسباب دينيّة.

هذا فضلاً عن توضيح أثر الدّين على النسق العقدي وتوجهات ومدركات وسلوك صنّاع السياسة وما هي القيود التي يفرضها الدين على صانع القرار.

من خلال التطبيق على السياسة الخارجيّة الإيرانيّة تجاه إسرائيل بعد قيام الثورة الإسلامية عام 1979 لمعرفة أثر ذلك في السياسة الخارجيّة، حيث تم التوصل إلى أنّ الدّين لا يمكن تجاهله، فالثورة الإسلامية في إيران ألقت بالإسلام في أتون السياسة من أوسع أبوابه، وكذلك الحرب الأفغانية كان لها دور في إعادة هذا العنصر، في حين أنّ أحداث الحادي عشر من سبتمبر هي من رفع الحجاب عن الدّين، حيث لعبت هذه الأحداث سالفة الذكر وغيرها دوراً كبيراً في تشكيل تلك العلاقة بين الديني والسياسي وامتداد تأثير الديني في السياسي.

المقدمـــــة:

يمثل الدين عنصراً هاماً في العلاقات الدولية الآن، ولكنه لم يكن دائماً كذلك، فمنذ معاهدة وستفاليا عام 1648 تم فصل الدين عن الدولة وأصبح الدين شأن داخلي

* محاضر، الجامعة الأسمرية الإسلامية، كلية الاقتصاد والتجارة زليتن، قسم العلوم السياسية.

للمجتمعات، وأصبحت الدولة القومية هي الفاعل الرئيس في العلاقات الدولية التي تحكمها النظريات العلمانية.

وظل تهميش دور الدين في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية حتى فترة الحرب الباردة والتي كان الاعتماد فيها على الأيديولوجيات المبنية على النظريات العلمانية مثل الليبرالية والماركسية والواقعية والعقلانية، ولكن ظهرت أخيراً أحداث جعلت الأكاديميين يعيدون النظر في أهمية الدين في العلاقات الدولية وظهوره كمنافس للنظريات الموجودة بعد أن ظن الكثير أن الدين عنصر تتضاءل أهميته في العلاقات الدولية، والجدير بالذكر أن في عام 2001 أكثر من نصف الـ34 صراع في العالم كان لها شق ديني (scott Thomas).

وقد اكتسب البعد الديني في الفترة الأخيرة من القرن الماضي أهمية كبيرة على الساحة الدولية، وهناك استطلاع للرأي أجراه منتدى (pew) وجد فيه أن ثلاثة أرباع الأمريكيين يقولون أن الدين له تأثيرٌ كبيرٌ، فضلاً عن كون وجهات نظر الأمريكيين حول العديد من الصراعات وعلى رأسها الصراع العربي–الإسرائيلي يقوم على أساس ديني.

وتكمن أهمية الدراسة في توضيح أثر الدين في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، باعتباره قضية هامة وشائكة من ناحية، ولأن دور الدين في تصاعد مستمر من ناحية أخرى، هذا فضلاً عن أنه يساعد على فهم الكثير من القضايا المطروحة في العالم وفي المنطقة والتي ترد في كثير من الأحيان لأسباب دينية وطائفية.

إشكالية الدراسة:

هل للدين دورٌ مؤثرٌ في الحياة السياسية (السياسة الخارجية والعلاقات الدولية)؟ وهل هناك تشابك بين الديني والسياسي؟ بعبارة أخرى هل هناك علاقة بين

الدين والسياسة وما مدى تأثير الدين في توجهات ومدركات صنّاع القرار لاسيما في السياسة الخارجية؟ وما هي العوامل التي أدت إلى بروز الدين في العلاقات الدولية؟

فرضية الدراسة:

انطلاقاً من الإشكالية سالفة الذكر، نسعى من خلال هذا البحث لإثبات تأثير الدين كعامل مؤثر في العديد من القضايا على المستوى الإقليمي والدولي، حيث أنه لا يمكن تجاهله فهو عنصر فعّال في العلاقات الدولية.

واستناداً لما سبق يمكن تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاث محاور نوضح من خلالها أثر الدين في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه إسرائيل، حيث نتناول في المحور الأول: الإطار النظري للدراسة من خلال تحديد ماهية الظاهرة، وكيف يؤثر الدين في العلاقات الدولية، وما هي الأسباب التي أدت إلى إعادة دور الدين في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية.

أما المحور الثاني: فنتحدث فيه عن علاقات الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإسرائيل خلال مرحلة الحرب الباردة لمعرفة أثر العوامل الدينية المؤثرة في العلاقة بينهما، وإشكالية هذه العلاقة، وما أثر انهيار الاتحاد السوفيتي على إيران.

في حين يتضمن المحور الثالث: العلاقات الإيرانية–الإسرائيلية بعد الحرب الباردة، وتأثير أحداث الحادي عشر من سبتمبر على العلاقات الإيرانية–الإسرائيلية وكيفية محاولة توظيف النظام الشيعي لمصلحة السياسة الغربية.

المحور الأول

الدين والعلاقات الدولية ماهية الظاهرة

أثير موضوع الدين في العلاقات الدولية في الآونة الأخيرة بشكل كبير، وخاصة بعد ظهور كتاب (الدين: البعد المفقود لأصول الحكم) والذي عمل فيه كاتبه

على الربط بين الدين والسياسة الدولية من خلال الاعتماد على نظرية العلمانية والحداثة، حيث ظل لفترة طويلة من الزمن داخل الدول الغربية، ولكن التغير الذي طرأ على النهوض بالدين خلال النصف الثاني من القرن العشرين غير هذه النظرة.

أولاً: مفهوم الدين:

يتألف كل دين من جذر غيبي عقدي يؤمن به كل متدين ينبثق منه أو يضاف إليه نظام أخلاقي، وهذا النظام تنبثق منه أو تضاف إليه في معظم الحالات قواعد عملية للسلوك اليومي.

والأصل في الدين أن يكون الترابط فيه ترابطاً وثيقاً بين الجذر الغيبي العقدي من جهة وبين النظام الأخلاقي والقواعد العملية للسلوك اليومي من جهة أخرى.

أي أن يكون الأصل في الدين أن ينبثق النظام الأخلاقي وأن تنبثق قواعد السلوك من الجذر الغيبي، إلا أنه ثمة من ينظر إلى هذه العلاقة على أنها علاقة إضافية ليست لازمة بالضرورة، بمعنى آخر يرى البعض أن الجذر الغيبي العقدي إنما يأتي من عالم ما وراء الطبيعة، بينما النظام الأخلاقي وقواعد السلوك مصدرها عالم الواقع[1].

ومع أن كثيراً من الأديان تسند الجذر الغيبي إلى قوى مجهولة بشرية أو غير بشرية، إلا أن الأديان الكبرى المعروفة تسند الجذر الغيبي إلى الله تعالى، وتسند كذلك أيضاً إلى الله تعالى النظام الأخلاقي والقواعد العملية للسلوك اليومي، وهذه الأديان هي المعروفة بالأديان السماوية وهي ذات الأثر الأكبر في التوجهات الدينية السائدة في عالمنا.

1- محمد معشوق الخزنوي، دور الدين في العلاقات الدبلوماسية وصناعة السلام، المعهد الدولي لأبحاث السلام، النرويج، 2005، ص1.

كما أن الدين في معظم الأحيان يشير إلى عدة أديان مثل اليهودية، المسيحية، الإسلام (الديانات السماوية)، والهندوسية والكونفشية، والبودية...الخ، فالدين يعرّف على أنه تصور عالمي، نظام اعتقاد، نظام عالمي رمزي، مراسيم وطقوس، إطار معياري للعدالة، طلب أخلاقي محلي.

ويعرّف ريتشارد ماكبرين الدين على أنه: (هو الاتجاهات المعقدة للمواقف، الاتهامات، العواطف، الطقوس، الرموز، والاعتقادات والمؤسسات الذي فيه الشخص يقبل رأي الآخرين أو يبدي رأيه هو في العلاقات العمومية على الواقعية النهائية)[1].

في حين أنه عرف الدكتور وليد عبد الحي الدين: (بأنه رؤية للذات والآخر والكون تتسم بالقداسة والتنزيه لمعتنقيها).

وتجدر الإشارة إلى أن الدين لا يقدم نظاماً عقدياً (كما يرى كليفورد جيرتز) وإنما يعتبر عنصراً أساسياً في فهم وتفسير العالم خاصة في الأوقات الصعبة أو عند حدوث الأزمات.

ويعترف بعض علماء الاجتماع بتأثير الدين على المعتقدات، ومن بينهم ماكس فيبر الذي ربط بين الدين والمعتقدات، وحتى كارل ماركس في مقولته الشهيرة أن (الدين هو أفيون الشعوب) فإن فيها اعتراف بتأثير الدين على المعتقدات والسلوك.

ثانياً: تأثير الدين في العلاقات الدولية:

يؤثر الدين على العلاقات الدولية عن طريق العديد من القنوات، منها على صنّاع القرار بما في ذلك صناع قرار السياسة الخارجية، ويظهر ذلك جلياً، في حالة

1- أشرف علام عبدالرحيم، الدين والعلاقات الدولية: واقع ومستقبل الظاهرة، القاهرة، 2008، ص-ص 3-10.

الدول الثيوقراطية مثل دولتي إيران وأفغانستان التي تتأثر قرارات قادتها بآرائهم ومواقفهم الدينية.

كذلك في بعض الصراعات الداخلية يعتبر الدين أحد دوافعها مثل الصراع في إسرائيل، ويضاف إلى ذلك أن الدين يعتبر مصدراً للشرعية والمثال ذلك هو القوة المعنوية التي تتمتع بها القيادة البابوية.

ورغم تلك الأهمية التي يمارسها الدين في مجريات العلاقات الدولية، فقد حظي عنصر الدين باهتمام ضعيف من دارسي العلاقات الدولية، كما تميل معظم الدراسات إلى تناول الدين في إطار متغيرات أخرى مثل التنظيم أو الإرهاب.

كما تجدر الإشارة إلى أن هناك قناتين محتملتين لتأثير الدين على السياسة، الأولى من خلال تأثير النسق العقدي على توجهات وسلوك صناع السياسة، وهو ما يسميه فيبر حيث يرى أن المعتقدات الدينية تشكل نوعاً من الشاشة الإدراكية، ويرى ريتشارد وينتر أن هذا النسق العقدي الذي يدخل الدين في صلب مكوناته يؤثر تأثيراً بالغاً على تفكير وسلوك البشر حيث يتجاهل الفرد أي معلومات تتناقض معه ويكيف المعلومات للتنسيق مع نسقه العقدي[1].

ويرى كارستين لوستسين أن التأثير الديني على النسق العقدي ينبع من الطبيعة المطلقة للمعتقدات الدينية والتي تجعل من الصعب أن تبني مواقف برجماتيه في القضايا ذات البعد الديني.

ويرى ديفيد كارمنيت أن التهديدات الموجهة للقيم الأساسية تعتبر من أهم أسباب الصراعات اللاتينية، ويعد الصراع العربي الإسرائيلي من الأمثلة الهامة لتأثير

1- Jonathan fox Religion as an over locked Element of International Ralations, International studies Reviw, vol. 3 , I ssue 3, fall 2001. pp 1, 3, 4.

الرؤى الدينية للعالم على السياسة، فكلا طرفي الصراع يدعي حقه في الأرض محل النزاع بناءً على دعاوى مبنية جزئياً على أساس ديني، وقد أدى هذا الصراع إلى عدة حروب كبرى كان للقوى العظمى دور فيها، كما أدى إلى العديد من الهجمات الإرهابية و(الانتفاضات العنيفة).

وبافتراض نجاح جهود التسوية السلمية، ستظل هناك معارضة على أساس ديني على الجانبين، حيث أن معظم المعارضين لاتفاقات السلام على الجانبين ينتمون لتنظيمات دينية[1].

وإلى جانب تأثير الدين على إدراك ومعتقدات صانع القرار، يؤثر الدين على صنع القرار من خلال فرض قيود معينة على بدائل بعينها يعترض عليها الرأي العام، مما يجعل اختيارها مكلفاً خاصة في المجال الأخلاقي أو الديني، ويظهر ذلك التأثير في إطار الصراع العربي–الإسرائيلي حيث يحرص القادة من الطرفين في الاتفاقيات على تجنب التعهدات والسياسات التي لا تقبلها شعوبهم، كذلك فإن الموقف المصري والسعودي إبان حرب الخليج الثانية والذي أملته الاعتبارات الواقعية والذي تمثل في مساندة القوات الدولية وضعت الاعتبارات الدينية أمامه الكثير من القيود، حيث واجه رأياً عاماً معارضاً لاستخدام القوة ضد دولة إسلامية، وضد السماح لدولة غير إسلامية بالتمركز في (الأراضي الإسلامية المقدسة)[2].

وهذا فضلاً عن أن كتابات صمويل هنتجون تشير إلى أن الصراعات الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة سوف تقوم بين الحضارات المبنية بشكل أساسي على الدين،

1- Ibid. pp: 4 , 5.

2– أشرف علام عبدالرحيم، مرجع سبق ذكره، ص10.

وهو يشير بذلك إلى علاقة الدين بالهوية التي تعتبر أحد العوامل الرئيسة المؤثرة في السياسة الدولية.

وتتسم الحضارات –وفقاً لتوصيف هنتجون– بالتجانس الديني ويعتبر الدين أحد العوامل الرئيسة في تعريفها خاصة الحضارة الهندية والإسلامية التي يعتبر الدين فيها هو العامل الوحيد في تعريفها رغم عدم اعتراف هنتجون بذلك.

ورغم الانتقادات الكبيرة التي واجهتها أطروحة صراع الحضارات، فإن معظم الدارسين يعترف بالتأثير الكبير لعنصر الهوية على السياسة، والتي يدخل الدين كمكون أساسي فيها[1].

ثالثاً: النهوض العالمي للدين:

أثير في الآونة الأخيرة الحديث عن تأثير أحداث الحادي عشر من سبتمبر على بروز دور الدين في العلاقات الدولية، باعتبار هذا الحدث من أهم العوامل المحفزة على إعادة تقييم دور الدين في العلاقات الدولية في المدارس الغربية، فقبل هذه الأحداث كان هناك عدد قليل من المدارس التي تهتم بدراسة دور الدين، ولهذا أثير تساؤلاً ألا وهو:

لماذا أدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى بروز دور الدين في العلاقات الدولية؟ رغم أنه كان هناك الثورة الإيرانية والحركات الإسلامية العابرة للقارات مثل تنظيم القاعدة، وبعض الصراعات الأثنية والدينية في سيرلانكا وإسرائيل ويوجوسلافيا وكشمير... وغيرها.

1– أماني محمود غانم، البعد الثقافي في العلاقات الدولية –دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات، برنامج الدراسات الحضارية، كلية الاقتصاد– جامعة القاهرة، 2007، ص199.

وهنا يمكن القول بأن أحداث الحادي عشر من سبتمبر والحروب المستمرة على أفغانستان والهجمات الإرهابية على كل من مدريد ولندن استحضرت التأثير الواضح للدين على الاهتمام العالمي وجلبته إلى دائرة الضوء.

وفيما يلي أهم الأحداث التي أدت إلى ظهور الدين في العلاقات الدولية وهي[1]:

1. الثورة الإيرانية عام 1979:

يقول سكوت توماس أن معظم الأكاديميين وخبراء السياسة لم يتوقعوا حدوث ثورة دينية في إيران، قد كانوا يتوقعون مظاهرات أو شكل في أشكال الاعتراض على سياسات الشاه، وإذا تغيرت هذه السياسات سوف يتغير شكل الثورة.

وذلك لأنهم ظنوا أن الدين ليس له دور فعال في العلاقات الدولية وأن النظريات العلمانية هي المؤثرة، وذلك بالإضافة لدور الغرب ونظريات الحداثة والتي كانت تؤكد بإمكانية المضي في طريق التطور على الطريقة الغربية، وأن كلما زاد النمو الاقتصادي تقل أهمية الدين كعنصر فعال.

ولذلك ظن الغرب أن الشكل الديني الذي ظهرت به الثورة هو مجرد شكل مؤقت وليس حقيقي، وبذلك تكون الثورة الإيرانية أحد الأدلة القاطعة على تهميش دور الدين في العلاقات الدولية والإيمان بأن العلمانية هي الأساس لكل تحركات السياسة الدولية.

2. الحرب الأهلية في أفغانستان:

الحدث الثاني الذي يبرز تهميش الغرب للدين في العلاقات الدولية وعدم الأخذ بأهميته هو حرب أفغانستان، فعندما ساعدت الـ(CIA) (المخابرات الأمريكية) المجاهدين ضد الاشتراكيين في أفغانستان لم تكن تشك أن المجاهدين قد يكون لهم

1- شيرين محمود نجم، إعادة ظهور الدين في العلاقات الدولية، برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة، 2008، ص2، 3.

دوراً أكبر مما رسمته لهم وذلك لأنها لم تظن أن الدين قد يكون مؤثراً وقادراً على لعب دوره في الدولة دون مساعدات خارجية، ولكنهم أخطأوا وتطور دور المجاهدين بعد ذلك وأصبحوا يمثلوا شبكة دولية Transnational non-state actor.

3. أحداث 11 سبتمبر:

كانت هي الحد الفاصل والذي أكد بلا شك عودة الدين في العلاقات الدولية وأهمية دراسته والحاجة لتنظير جديد، وهذه الأهمية تنبع من فكرة أن الأحداث التي لها طابع ديني امتدت وأصبحت دولية تمس الغرب في عقر داره وليست مقتصرة على أحداث داخلية تحدث في دولة نامية بعيدة عن الغرب. ولذلك تحول النظر للدين من مجرد أداة سياسية لبعض الدول النامية من أجل الحصول على الشرعية إلى النظر إليه كعنصر حقيقي فعال في العلاقات الدولية وليس الداخلية فقط[1].

وخلاصة القول، فإن هذه الأحداث سالفة الذكر قد أحدثت قدراً لا نستطيع تجاهله في التشابك السياسي بالديني، فالثورة الإيرانية ألقت بالإسلام في أتون السياسة من أوسع أبوابه، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر هي من رفع الحجاب عن الدين، وقد لعبت هذه الأحداث دوراً كبيراً لا يستهان به في تشكيل تلك العلاقة بين الديني والسياسي وامتداد تأثير الديني في السياسي.

المحور الثاني

البعد الديني في السياسة الخارجية الإيرانية إزاء إسرائيل

أعلنت الجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ بداية تأسيسها أنها لا تعترف بإسرائيل وترفض شرعية الكيان الصهيوني. في حين أنّ إيران في مرحلة ما قبل

1- شيرين محمود نجم، المرجع السابق، ص4.

الثورة الإسلامية كانت تقيم علاقات استراتيجية مع الحكومة الإسرائيلية. لذا يستوجب الأمر فهم السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية تجاه إسرائيل، وذلك من خلال دراسة العلاقة بين البلدين خلال فترة 1979–2002، ومن خلال الإجابة علي هذه التساؤلات:

ما هي العوامل التي قد توضح العلاقات العدائية بين البلدين خلال فترة الحرب الباردة وما بعدها؟ ويعتقد البعض أن السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية كانت خلال فترة الحرب الباردة سياسة هجومية. استناداً إلي الشعارات الجدية المعادية لإسرائيل وانطلاقاً من الإحساس بالواجب الديني والإنساني تجاه دعم فلسطين. خلال تلك الفترة كانت إيران فيها تعتبر أن منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً للشعب الفلسطيني، لكن بعد دعم المنظمة للعراق والعصبية العربية في الحرب المفروضه، سعت إيران لدعم فلسطين عبر الجماعات الفلسطينية الأخري (حماس).

ولكن مع انتهاء الحرب الباردة وتحول أمريكا إلي القوة العظمى في الشرق الأوسط، طرأ تحولاً علي العلاقة بين إيران وإسرائيل، وتوجهت الحكومات نحو تدعيم قدراتها عبر موازنة القوي.

أما الجمهورية الإسلامية في إيران فحولت سياستها خلال تلك الفترة من الهجوم إلي الدفاع، لكن تصاعد قدرة أمريكا علي المناورة في المنطقة والإتحاد الاستراتيجي بين أمريكا وإسرائيل أديا إلي تشديد السياسة المعادية لإيران في المنطقة.وخلال هذه الفترة، سعت إسرائيل لوضع إيران عبر اللوبي اليهودي.

أما إيران ولاسيما رجال الدين فيها ليسوا مهيئين لتغيير نظرتهم تجاه إسرائيل ولاسيما نظرتهم للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي وبالتالي فمسألة إسرائيل هي جزء من العقل السياسي للنخب الإيرانية الحاكمة والتي ترى في حماس والجهاد الإسلامي

مجموعتين تحاولان تحرير أرضهما من الاحتلال الإسرائيلي. وتظل إيران هي الدولة التي لا تعترف بحل الدولتين للنزاع الفلسطيني–الإسرائيلي[1].

لذا نري أنّ هناك مزيج من التوجه الديني والقومي يلقي ظله علي مواقف رجال الدين وسواهم تجاه إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية حيث برز هذا في سلوك إيران السياسي المعاصر.

بالإضافة إلي ذلك كان القادة الإيرانيون ينظرون للقادة العرب الذين قاموا بعمل تسوية مع إسرائيل مثل أنور السادات بأنهم خونة، وهو ما يدل علي أن علاقة إيران بالدول العربية تعتمد علي رؤية كل دولة لعلاقتها الخاصة مع إسرائيل، وبالتالي فهي تكن العداء للدول التي تنوي القبول بالوجود الإسرائيلي مثل مصر والأردن وتونس والمغرب، وفي نفس الوقت تكن مشاعر الود والصداقة للدول التي تشاركها رؤيتها العدائية لإسرائيل مثل الجزائر وليبيا وسوريا.

والمتتبع لأحداث السياسة الخارجية الإيرانية يجد أنها قد تغيرت تماماً بعد الثورة، فبعد الحرب العالمية الثانية كان القادة الإيرانيون يعتبرون دولتهم جزءاً من نظام التحالف الغربي وكانوا يحسنون العلاقات مع الولايات المتحدة لسببين:

الأول: كوسيلة لحماية دولتهم من الضغط السياسي القادم من الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت.

الثاني: كاقتناع إيديولوجي حقيقي.

ولكن الثورة قامت بإحضار قادة جدد للسلطة بوجهات نظر معارضة تماماً لشكل العلاقة مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، حيث يعتبر الأنموذج

1– داليا أحمد رشدي، الأصولية الإسلامية والديمقراطية، برنامج الدراسات الحضارية، جامعة القاهرة، أبريل 2008، ص19.

الإسلامي لجمهورية إيران التي تبدل نظامها جذرياً عام 1979 (والذي انتقل من نظام إمبراطوري إلي نظام إسلامي).

ومنذ ذلك الوقت أصبحت سياسات إيران الداخلية والخارجية موضع ترقب واهتمام لكافة دول العالم، لاسيما الدول الغربية وذلك بسبب ثلاث متغيرات استراتيجية وهي[1]:

- تأسيس نظام إسلامي جاءت به ثورة شعبية حقيقية.
- موقف إيران من إسرائيل التي يجب إزالتها وعدم الاعتراف بها.
- الموقف المعادي للولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل.

ولقد شكل الإسلام أحد مكونات السياسة الخارجية لبعض الدول كأداة من أدوات السياسة الخارجية مثل إيران وباكستان والسعودية وبعض دول الخليج ومصر، ودول منظمة المؤتمر الإسلامي، وتم توظيف الدين من الجماعات الإسلامية عابرة القومية كجماعة الإخوان المسلمين.

وإنّ الاستخدام السياسي للدين في السياسة الخارجية والداخلية من قِبَل الحكومات، يجعلها تستخدمه في خلق تعبئة دينية وتحويل الأزمات والمشاكل السياسية إلي نزاعات دينية حتى يسهل علي الحكام حشد التأييد الداخلي وراء قراراتها ومواقفها السياسية.

علاقات الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإسرائيل خلال مرحلة الحرب الباردة:

اعتبرت إسرائيل منذ قيامها في عام 1948 إيران حليفاً استراتيجياً لها، فرؤية (بن غوريون) المستقبلية كأول رئيس للكيان الصهيوني كانت تقول أنّ على

1- باكينام الشرقاوي، الديني والسياسي في التجربة الإيرانية، في كتاب العلاقة بين الديني والسياسي، مكتبة الشروق، القاهرة، يناير 2008، ص71 وما بعدها.

إسرائيل أن تحاصر الدول العربية من خلال اتحادها مع تركيا وإيران وإثيوبيا، لتقلل بذلك من عزلتها ولتحقق أهدافها. لذلك سعت إسرائيل خلال العهد البهلوي إلي تعميق علاقتها مع إيران.

فإيران البهلوي اعترفت رسمياً بالكيان الصهيوني بعد عامين من قيامه أي في1950/3/6. وقررت حكومة الدكتور مصدق عام 1951 إغلاق القنصلية الإيرانية في القدس.

لكن مع انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، وسقوط حكومة الشاه عام 1979 تغيرت تلك العلاقة. لذا لابد أن نحدد أهم العوامل المؤثرة في علاقات البلدين، وما هي إشكاليات العلاقة؟

أثر العوامل الدينية المؤثرة في العلاقات الإيرانية–الإسرائيلية بعد قيام الثورة الإسلامية:

– بعد قيام الثورة الإسلامية مباشرة انقطعت العلاقة بين إيران والكيان الصهيوني.

– سلمت السفارة الإسرائيلية السابقة إلي منظمة التحرير الفلسطينية.

– الثورة الإسلامية كانت تعتبر دعم مسلمي العالم أحد أهدافها الأساسية. واعتبرت القضية الفلسطينية علي رأس لائحة أهدافها.

– معارضة الجمهورية الإسلامية الإيرانية للكيان الصهيوني تعتمد علي عقيدة ثابتة وإنسانية تقول أن إسرائيل هي دولة غاصبة قد احتلت الأرض الفلسطينية التي تشكل جزءاً من الأراضي الإسلامية.

– كانت إيران ترى أن واجبها الديني يتطلب منها دعم القضية الفلسطينية ورفض شرعية الكيان الصهيوني.

أدركت إسرائيل أنها الخاسر الأساس من انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتصاعد خطر عزل إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط، وذلك لأن الدول العربية وإيران أصبحوا في معسكر واحد معاد لإسرائيل[1].

إلا أن إسرائيل ظلت تبحث عن طريق نحو إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية وهو وجود ثمانين ألف يهودي في إيران تقريباً، وهناك عوامل أخرى كان لها العلاقة أيضاً، منها أن الإسرائيليين كانوا يتصورون أن حكومة الجمهورية الإسلامية لن تستمر في إيران وإنها ستسقط، والسعي لإيجاد انقلاب مؤيد للغرب في إيران.

ومن ناحية أخرى، عندما لم تتمكن إسرائيل من إقامة العلاقات مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، سعت إلى عزل إيران في المنطقة والعالم.

- إشكالية العلاقة بين إيران وإسرائيل:

1) قامت الجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ تأسيسها بقطع علاقاتها مع إسرائيل.

2) المواقف التي أعلنتها الجمهورية الإسلامية والتي تقوم على أسس دينية وإنسانية، تمثلت في عدم اعترافها بإسرائيل وإعلانها بعدم شرعية إسرائيل ومحوها الكامل من وجه الأرض.

فهوية الجمهورية الإسلامية الإيرانية الدينية والثورية والتي هي معادية للصهيونية والإمبريالية، دفعت بإيران إلي المواجهة العملية مع الكيان الصهيوني عبر نشاط غير مباشر حول إسرائيل (وخصوصاً في لبنان) بل وداخل الأراضي الفلسطينية (في الضفة الغربية وقطاع غزة) فبسبب تأثر شيعة لبنان والمنظمات الإسلامية الفلسطينية بالثورة الإسلامية في إيران، كانت إيران تقوم بدعم هذه الفئات

1- محمود سريع القلم، العلاقات الإيرانية-الأمريكية: مشاكل وتوقعات، شؤون الأوسط، العدد119، صيف 2005، ص63-64.

في مواجهتها مع الكيان الصهيوني، فكانت أهم تأثير لثورة الإسلامية الإيرانية في مواجهة إسرائيل هي نفوذها في لبنان تم تأسيس حزب الله عام 1982 وتقديم الدعم للمنظمات الفلسطينية مثل الجهاد الإسلامي وحماس.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران كان للعلاقات الإيرانية–الإسرائيلية تأثيرها على العلاقات الإيرانية–الأمريكية، فعداء إيران لإسرائيل التي تمثل وحدة استراتيجية مع أمريكا في المنطقة، وأمريكا تعتبر نفسها الضامن لحفظ حياة وأمن الكيان الصهيوني مما زاد من وتيرة المواجهة بين إيران وأمريكا، كما أن الإسرائيليين أنفسهم زادوا من ذلك العداء، وشجعوا الإدارة الأمريكية علي فرض العقوبات ضد إيران.

آثار انهيار الاتحاد السوفيتي علي إيران:

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، سعت أمريكا للاستفادة من الفرصة المتاحة علي أكمل وجه، ولإنهاء النزاع العربي الإسرائيلي حسب هواها. فتمت الدعوة إلي عقد مؤتمر السلام في مدريد عام 1991. ورغم كل التحولات التي طرأت إلا أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية كانت معارضة لإسرائيل ولمسيرة السلام في الشرق الأوسط.

وهناك رؤية أمريكية تشكك في النوايا والأعمال العسكرية التي يقوم بها مقاومو حزب الله الذين لا يريدون السلام علي حد قول أولبرايت، وتنطلق هذه الرؤية من مقولة بسيطة مفادها أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية المتضررة من أمكان الانفراج الإقليمي والمعارضة لعملية التسوية السلمية تستعمل حزب الله كأداة ووسيلة لنسف مفاوضات السلام والقيام بدور فاعل في مسرح الصراع العربي–الإسرائيلي.

أما قلق إيران الأساسي، فلم يكن من انهيار الاتحاد السوفيتي وخسارة حليف في المنطقة، وذلك لأن الجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ تأسيسها تبنّت في سياستها الخارجية مبدأ اللاشرقية واللاغربية، فالجمهورية الإسلامية الإيرانية كانت قد بنت

سياستها الخارجية علي أسس إسلامية، وهو توجه يسعي إلي تجديد النظر وتوجه آخر يواجه كلا القطبين. لكن قلق إيران الأساسي هو من تسلط عدوها اللدود (أمريكا) علي منطقة الشرق الأوسط.

وكانت أمريكا حينها تبحث عن عدو جديد، وقد تشكل الدول الإسلامية أو الأصوليين الإسلاميين البديل عن الاتحاد السوفيتي السابق، لذلك كان من البديهي أن تضغط أمريكيا علي احد أهم مصادر الأصولية الإسلامية أي إيران، لذلك توجهت سياسة أمريكا هذه نحو إيران والعراق سوياً، هذا ما يشير إلي تركيز الأهداف الأمريكية على محاصرة إيران[1].

ورغم هذا التغير في النظم إلا أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية لم تظهر ميلاً لقبول هذا التغير والتعامل علي أساسه. وبعبارة أخري يمكن القول انه بسبب توجهها العقدي الخاص، ودوره في السياسة الخارجية، لم تشأ إيران أن تلاحظ هذا التغير بل بنت سياستها الخارجية علي أسس إسلامية.

المحور الثالث

العلاقات الإيرانية–الإسرائيلية بعد الحرب الباردة

انهيار الإتحاد السوفيتي ونهاية نظام القطبين العالمي أوجدا ظروفاً جديدة في الشرق الأوسط. وكان بدء محادثات السلام من أهم تداعيات الجو الجديد الذي خيم علي منطقة الشرق الأوسط منذ عام 1991، وفي شكل عام فإن بدء مسيرة السلام بين العرب وإسرائيل واحتمال نجاحها جعل إسرائيل في غنى عن حاجتها لإيران لتشكل حليفاً في مواجهة الدول العربية أمراً غير ممكن، وعليه فلابد لإسرائيل من حفظ

1– طلال العتريسي، الجمهورية الصعبة، ... إيران... تحولاتها الداخلية وسياستها الخارجية، بيروت، دار الساقي، 2006، ص73.

علاقاتها مع إيران، لكن مفاوضات السلام في مدريد بينت أن السلام مع العرب أمر غير مستحيل، ومنذ ذلك الحين اتخذت إسرائيل توجهاً جديد تجاه الجمهورية الإسلامية الإيرانية فأضحت تعتبر أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تشكل تهديد لإسرائيل، وأظهرت عداءها لإيران أكثر من ذي قبل.

- السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه إيران:

طرح شمعون بيريز مشروع الشرق الأوسط الجديد لبسط سلطة إسرائيل علي منطقة الشرق الأوسط ومحاصرة إيران. فقد أدركت إسرائيل بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عليها أن تعزل إيران بأي شكل من الأشكال لتتمكن من حفظ أمنها، فتوقيع اتفاقية أوسلو ودخول إسرائيل إلي الخليج الفارسي تحت ذريعة المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط، كل تلك التحركات جاءت بهدف محاصرة إيران من ناحية وسعي الإسرائيليين من خلال اللوبي اليهودي في أمريكيا إلي منع أي تقارب وتحسين في العلاقات الإيرانية–الأمريكية والي زيادة العداء بين الطرفين من ناحية أخرى[1].

نستنتج من ذلك أن هناك وجهتي نظر في إسرائيل تجاه إيران وهما:

1- نظرة تعتبر أن إيران وعلاقاتها بحزب الله في لبنان وحماس والجهاد الإسلامي، كل ذلك يشكل تهديداً لأمن إسرائيل، ويرافق هذه النظرة قلق شديد تجاه حصول إيران علي الأسلحة النووية وبقية أسلحة الدمار الشامل.

2- تعتبر أن إيران قد بدأت حربها ضد إسرائيل عبر حزب الله، وتعتبر أن إيران هي الداعم للجهاد الإسلامي وحماس في الأراضي المحتلة ما زاد من قلق تل أبيب.

1- أميرم حاجي يوسف، سياسة إيران الخارجية إزاء إسرائيل 1979-2002، شؤون الأوسط، العدد119، صيف2005، ص67-68.

- حادث 11 سبتمبر والعلاقات الإيرانية-الإسرائيلية:

يبدو أن حادث 11 سبتمبر 2001، جاء لمصلحة إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط، فهذا الحادث الإرهابي أتاح لإسرائيل الفرصة المناسبة لتشديد عدائها تجاه إيران، فاللوبي الصهيوني تحرك حينها مباشرة لإقناع الأمريكيين أن إيران هي التي تقف وراء هذا العمل الإرهابي، وعندما فشلت في ذلك سعت إسرائيل لتوجيه الحملات الأمريكية ضد إيران متهمة إياها بأنها الداعم الأساسي للإرهاب ممّا جعل بوش يعلن أنّ إيران هي ضمن دول محور الشر، وكان لإسرائيل الدور الأساسي في ذلك.

وبالنظر إلي تلك التحولات التي طرأت في النظام الدولي، تواجه الجمهورية الإسلامية الإيرانية وضعاً صعباً، حيث يركز الإسرائيليون كل جهودهم لتوجيه ضربة أساسية لإيران بشكل من الأشكال، أما علي يد الولايات المتحدة أو علي يد إسرائيل مباشرة. ويبدو أن علاقات البلدين قد دخلت مرحلة جديدة تميل إلي المواجهة والنزاع، لذلك لا يمكن توقع تدني التهديد الجدي الأمريكي والإسرائيلي، بل يبدو أن هذه التهديدات تتزايد يوماً بعد الآخر.

واستطاعت مجموعات الصهيونية الأمريكية أن تحدد مصالحها في العلاقات مع إسرائيل وأن تعطي تعريفاً لربط مصالحها مع إيديولوجية الحكومة الأمريكية.
ويقال أن اللوبي الصهيوني نجح في عهد كلينتون بممارسة أقصى حدود نفوذه السياسي، وإصدار أكثر القرارات المناوئة ضد إيران أقرت في النصف الثاني من ولاية كلينتون وبينت السياسة الأمريكية في هذه المرحلة علي قاعدة ممارسة الضغط العملي الأكثر تشدداً واستخدام اللغة الأكثر مرونة[1].

1- هيثم مزاحم، السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر (الحملة على إيران)، شؤون الأوسط، العدد 107، صيف 2002، ص174.

أما سلوك إدارة بوش حتى أحداث 11 سبتمبر 2001 كان يتصف بالتأرجح بين مواقف وتوصيات القطبين في وزارتي الدفاع والخارجية ولم تصل إلي اتخاذ الموقف النهائي والحاسم، ولكن بعد أحداث 11 سبتمبر تسبّبت المساعي الإسرائيلية الواسعة لدي أجهزة الدولة باتخاذ حكومة بوش المواقف المتشددة حيال إيران وطرحت عدة مرات ضرورة تغيير البنية السياسية في هذا البلد.

وقد وضع الصهاينة استراتيجيتهم السياسية والإعلامية علي القواعد التالية[1]:

1- المسلمون هم الأعداء الأصليون لأمريكا وأنهم يعارضون فلسفة الحياة والحرية والمنطق الاقتصادي الأمريكي.

2- العرب وإيران هم الأعداء لأمريكا ولفلسفة الحياة الأمريكية.

3- اعتبار الأنظمة التعليمية الإسلامية في الشرق الأوسط عامة وفي العالم العربي خاصة معادية للغرب وأمريكا.

4- يعتبر العرب والإيرانيون، وبشكل عام المسلمون مجموعات غير منضبطة.

والمتتبع للمشاريع الأساسية ضد إيران في أمريكا ولاسيما منذ مجيء إدارة كلينتون التي تجري صوغها في مؤسسة واشنطن لدراسات الشرق الأوسط وهذه المؤسسات تعد من أهم مراكز البحوث وضع سياسة إسرائيل في أمريكا حيث أنشأت الشبكات المعقدة والكبيرة في الدوائر الحكومية في هذا البلد.

وتستند البنية الفكرية لهذه المؤسسة في المشاريع الاستراتيجية علي دعامتين[1]:

1- سيد حسين موسوي، استراتيجية أمريكا وإسرائيل إزاء إيران، شؤون الأوسط، العدد 171، شتاء 2003، ص180.

أ- نظرية إثارة الفتن في إيران.

ب- شن حرب نفسية واسعة النطاق ضد إيران.

ويمكن أن نشير إلي النماذج العملية وتنفيذ هذه الاستراتيجية كالآتي:

1- قانون مقاطعة الاستثمار المسمي بـ(داماتو) 1996.

2- سياسة الاحتواء المزدوج.

3- إبراز إيران كدولة مناوئة للسلام في الأسرة الدولية.

4- عرض ومتابعة الشكاوي القانونية في المحاكم الأمريكية ضد إيران.

5- الضغط علي روسيا لوقف تعاونها النووي مع إيران.

6- الضغط علي الصين لوقف تعاونها النووي مع إيران أيضاً.

7- تدبير حملات إعلامية واسعة حول المخاطر الناجمة عن قدرات إيران الصاروخية والعسكرية لاسيما علي صعيد القدرة النووية.

8- زج اسم إيران فيما اسماه بوش (محور الشر).

وتؤكد تقارير هذه المؤسسة المرسلة بشكل منظم للبيت الأبيض ووزارة الدفاع والكونغرس أن السلطة السياسية في إيران، نظراً إلي إخفاقاتها في المدى المتوسط، سوف تواجه مخاطر جدية.

ومن الواضح أنهم يقصدون بذلك السياسات الإيرانية المناوئة للصهيونية في إطار عملية التسوية (يرفض اليمين واليسار في إيران الكيان الإسرائيلي ويعارض كافة اتفاقات السلام الموقعة بين إسرائيل ومصر والأردن وكذلك اتفاقيات أوسلو

1- محمد سعد أبو عامود، الشيعة في الخليج وتفاعلات الصراع الأمريكي-الإيراني، السياسة الدولية، العدد 168، أبريل 2007، ص ص95-99.

وغيرها من اتفاقيات السلام) بالإضافة إلي تأييد ودعم إيران لحماس والجهاد الإسلامي وحزب الله في البنان.

ويتضح بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 لجوءاً متزايداً للدين كأداة وكقناع لمشاريع التغيير السياسي، وكفاعل عبر آخرين في العلاقات الدولية، وكمصدر من مصادر النزاع.

وأصبح هناك توظيف للقيم الدينية في أسواق السياسة والأديان والاقتصاد والجريمة الكونية، حيث تزدهر الأقنعة والطقوس باسم الدين.

وإن أحداث 11 سبتمبر 2001 شكلت نقطة تحول في عمليات توظيف الدين في تسويغ وتبرير أنماط من العنف المدمر ذي الوجوه الدينية والرمزية[1].

تأثيرات عالم ما بعد 11 سبتمبر على دور الدين عموماً والإسلام:

1- تزايد عمليات توظيف الدين ورموزه وتفسيراته في العلاقات العولمية الدولية، ولاسيما النزاعات حول الهوية والمصالح.

2- يلعب الخطاب الديني دوراً تعبوياً وتحريضاً على المسارح السياسية في المنطقة العربية، وبعض الدول الإسلامية إزاء بعض الصفوات الحاكمة وتوظيف الضربة الأمريكية ضد العراق في نقد السلطات السياسية، ولاسيما من قبل الجماعات الإسلامية المعارضة.

3- إن اليمين الأمريكي- وجماعات الضغط المسيحية الصهيونية زادت من احتقان العلاقات بين الإدارة الأمريكية بقيادة جورج دبليو بوش، وبين بعض الدول العربية والإسلامية (إيران).

1- هيثم مزاحم، المرجع السابق، صص175-176، وكذلك أنظر: فواز جرجس، الأصولية الإسلامية في المنظار الأمريكية، شؤون الأوسط، العدد 101، شتاء 2001، ص177.

4- تزايد مؤشرات تمثيل القوى الإسلامية في البرلمانات العربية والإسلامية عبر الانتخابات، كما حدث في المغرب والباكستان، حيث شكلت القوة السياسية الثالثة في تشكيل البرلمانات التي تم انتخابها في عام 2002.

محاولة توظيف النظام الشيعي لمصلحة السياسة الغربية:

ما إن وقفت السياسة الأمريكية علي مبادئ النظام الشيعي في إيران وأسلوب تناوله لقضايا الأمة حتى سارعت في تجنيد ذلك لصالحها بكل أبعاده وانعكاساته علي الساحة الإقليمية والدولية، خاصة وهي تدرس نفسية هؤلاء (رجال الدين الإيرانيين) لتجد أنهم يعملون في اتجاه[1]:

1- مطاردة وملاحقة كل هؤلاء الذين كان لهم صلة وعلاقة بالنظام السابق والتشدد معهم، وهكذا أعطت دليلاً مادياً أن العقيدة التي يحملونها لا تعرف العفو والتسامح، وهكذا خلق النظام منذ البداية جماعة تتجمع وتكيد له. وتم تلبيس ذلك بتعاليم الإسلام الحنيف.

2- الولاء لمذهب الإمامية، كما هو في قسم رئيس الجمهورية، أكثر منه للإسلام وهذا التوجه يثير الشكوك والريبة المخزونة في الذاكرة التاريخية للأمة.

3- تصعيد العداء الإعلامي ضد العراق خاصة والأنظمة العربية والإسلامية من حوله.

4- هذه العقلية لم تستطيع أن توازن بين أطراف المعادلة: الاقتصادية والفكرية والسياسية والأيديولوجية، لكي تبني منها جسراً يمكن أن تعبر عليها مصلحة المنطقة إلي ضفة الأمان، بحيث تصبح العراق ودول الخليج مكمله لإيران في توازن القوى في المنطقة هذا الخلل هو الذي أضر بالمعادلة وجعل العلاقة تقوم علي رؤية جزئية، وجعل الغرب يقوم بهدم ذلك الجسر، واستطاع بذلك توظيف النظام الجديد.

1- محمد سعد ريان، الصراع على الخليج ومحاولة توظيف الإسلام السياسي، قراءات في السياسة الواقعية ونظرية توازن القوى، مركز الحضارة العربية، ط1، القاهرة، 2005، ص82 وما بعدها.

وإذا كانت الصهيونية والولايات المتحدة ترى أن هناك محاولة لنهضة المشروع الإسلامي وبعثه في حياة الأمة والبشرية، وتخشى انتشاره وتوسعه وامتداده، فمن الصعب التعرض له بشكل مباشر–الأمر الذي يؤجج روح الإسلام أكثر في نفوس أهله، وإذا كان المسلمون يريدون أن ينهضوا بالمشروع الإسلامي فإن أعدائهم قد استبقوا الحوادث، وأعدوا (إسلاماً) من عند أنفسهم، وأعدوا له جماعات كأنهم مسلمون، هذه الجماعات الغاضبة حولت معاني الإسلام من نور يشع في الأرض إلى نار تحرق ذات اليمين وذات الشمال[1].

– إضافة إلي ذلك كله فإن الأنموذج الإسلامي للثورة الإيرانية انتهج منذ بداية عهدها أسلوب التطرف مع خصومها ولم تجر حساباً دقيقاً لميزان القوى المحلي والعالمي في حين أنها لم تستطع أن تحتوي الخلافات مع النظام العراقي.

– التوجه الطائفي للثورة الإيرانية جعلها تفقد شيئاً فشيئاً التأييد الذي حصلت عليه من المسلمين في العالم. فقد توخى المسلمون أن تتبنى الثورة قضية الإسلام وتعمل على الانتصار لها وأن ترتفع فوق الفهم الطائفي. وبدل أن تنجح بإدارة صراعه بين الدين وبين أعدائه، جعلها وكأنها حرب بين الشيعة وغيرهم وزج بالعنصر العربي ضده.

– تطرف القادة الإيرانيين ومغالاتهم، جعل من السهولة توظيف هذه الثورة لصالح الاستعمار، عن دراية أو غير دراية، فقد استفاد المستعمر من استحكام العداء بين إيران من جهة وبين العالم العربي من جهة أخرى. والمسلم الواعي لقضيته لا يكون وقوداً لنزاع لم يخطط له هو نفسه.

1– محمد سعد ريان، المرجع السابق، ص86.

– كان للثورة الإسلامية في إيران صدى في كثير من الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، وأخذ الشباب في هذه الدول يقرءون عن الإسلام وانتقدوا الحزب علانية، مما قوى التصميم السوفيتي لغزو أفغانستان وقد استطاع الاستعمار الغربي توظيف الحرب الأفغانية ضد الاحتلال الروسي إلى محاولة ترويض السياسة السوفيتية، كما استفادت إسرائيل من هذه الحرب بأن طورت علاقات تبادل الثقة بينها وبين الاتحاد السوفيتي[1].

الخاتمـــــة:

من خلال العرض السابق تم التوصل إلى مجموعة من النتائج المتعلقة بتأثير البعد الديني في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، وتتمثل هذه النتائج في:

– إن العامل الديني أصبح يشكل مصدراً ومرجعية للقيم، حيث أصبح السياسي لا يمكنه –بأي حال من الأحوال– تجاهل الدين أو تهميشه، وأصبح الدين طاقة لا يمكن إنكارها في عالم السياسة الداخلية والخارجية والعلاقات الدولية.

– وأن أي محاولة تهميش للعامل الديني في عمليات التقاطع والتفاعل بين الظاهرتين (السياسية والدينية) واستبعاده من المعادلة من دون داعٍ حقيقي، سوف يؤدي ذلك – بأي حال من الأحوال– إلى نتيجة أو علاقة سلبية وغير سوية.

وكما يؤكد ذلك، ما حدث بعد نجاح الثورة الإيرانية، هو تغيير في العلاقة بين الدين والسياسة إلى علاقة مؤسسية قائمة على وجود نص قانوني يلزم ويحدد الإطار الشرعي لحركة (السياسي) من خلال إعطاء دور متمايز للمكون (الديني) في المعادلة في استجابة للمعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

1– نبيل عبد الفتاح، سياسات الأديان–الصراعات وضرورات الإصلاح، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2003، صص 110–111.

حيث قامت الجمهورية الإسلامية الإيرانية بقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني من دون ملاحظة الظروف الجيوبوليتكية وأخذت توجهاً في الشرق الأوسط بخلاف أشد نظريات العلاقات الدولية مراعاة للمصالح المادية، ممّا جعلها غير قابلة لفهم العامل الأساسي لتصرف الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

هذا اتجاه إسرائيل لم تكن الاستحقاقات المادية العينية، بل التحولات التي تركت تأثيراً مباشراً على مصالحة إيران الإسلامية وهويتها.

إحدى العلاقات الأساسية للجمهورية الإسلامية الإيرانية والتي شكلت هويتها عداءها للكيان الصهيوني. وبعبارة أخرى فإن إسلامية النظام الإسلامي قد حددت بعدائه لإسرائيل وأمريكا. وقد أدعى قادة الثورة الإسلامية أن الصهيونية تتآمر ضد الإسلام بالتحالف مع الإمبريالية.

ذلك الإسلام الذي مظهره الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فقد أشار ((الإمام الخميني)) إلى هذه المسألة بوضوح من خلال كلماته وخطاباته، فالتحذير من خطر الصهيونية العالمية على الإسلام والثورة الإسلامية، ومساعي إسرائيل لاجتثاث الإسلام وعداء إسرائيل لأساس الإسلام والخطر الإسرائيلي على الشرق الأوسط كله والأراضي الإسلامية، والأهداف المشؤومة لإسرائيل لإقامة حكومتها على أرض الدولة الإسلامية من النيل إلى الفرات، ودعم أمريكيا للشاة وإسرائيل، وغير ذلك كله نشير إلى فهم الجمهورية الإسلامية الإيرانية لنفسها ولما عليها أن تقوم به، وقطع العلاقات الإيرانية مع إسرائيل مباشرة بعد عودة الإمام الخميني من باريس إلى طهران، وفتح سفارة فلسطين في إيران، والانتقاد الشديد لاتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل في كامب ديفيد، وقطع العلاقات مع مصر، والإعلان عن أن الهدف الأساسي لإيران بعد هزيمة العراق هو تحرير القدس، ومعارضة أي صلح بين

العرب وإسرائيل، وتمني زوال الكيان الصهيوني، كل ذلك يشير إلي تصور الجمهورية الإسلامية الإيرانية عن نفسها وعما عليها القيام به من تحركات مناسبة.

ويمكن إدراك السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية تجاه إسرائيل بشكل أفضل، فالجمهورية الإسلامية الإيرانية كبقية الحكومات الأخرى لديها رمز اجتماعي (Social code) يشير إلي هويتها الخاصة ويقوي فعلها السياسي.

هذا الرمز الاجتماعي هو الذي يشير إلي ترجيح القيم الحكومية هو الذي أدّي إلي القيام بأفعال خاصة. لذلك فإن تحركات الجمهورية الإسلامية تجاه إسرائيل تنطلق من الماضي المركب من هذه القيم.

وقد كانت إيران ترى أن واجبها الديني والإنساني يتطلب منها دعم القضية الفلسطينية ورفض شرعية الكيان الصهيوني، أي أنه من البديهي أن أحد الأمور الأساسية التي شكلت جزءاً من هوية الجمهورية الإسلامية الإيرانية وما كانت تدركه جيداً وسعت لتقويته هو دعم فلسطين ومعارضة إسرائيل.

المراجع

1- أشرف علام عبد الرحيم، الدين والعلاقات الدولية: واقع ومستقبل الظاهرة، مكتبة الشروق، القاهرة، 2008.

2- أماني محمود غانم، البعد الثقافي في العلاقات الدولية-دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات، برنامج الدراسات الحضارية، كلية الاقتصاد جامعة القاهرة، 2007.

3- أمير حاجي يوسفي، سياسة إيران الخارجية إزاء إسرائيل، شؤون الأوسط، العدد 119، صيف 2005.

4- أمير حاجي يوسفي، سياسة إيران الخارجية إزاء إسرائيل، شؤون الأوسط، العدد 119، صيف 2005.

5- باكينام الشرقاوي، الديني والسياسي في التجربة الإيرانية، في كتاب العلاقة بين الديني والسياسي، مكتبة الشروق، القاهرة، يناير 2008.

6- داليا أحمد رشدي، الأصولية الإسلامية والديمقراطية، برنامج الدراسات الحضارية، كلية الاقتصاد جامعة القاهرة، أبريل 2008.

7- سيد حسين موسوي، استراتيجية أمريكا واسرائيل إزاء إيران، شؤون الأوسط، العدد 171، شتاء 2003.

8- شيرين محمود نجم، إعادة ظهور الدين في العلاقات الدولية، كلية الاقتصاد جامعة القاهرة، 2008.

9- طلال العتريسي، الجمهورية الصعبة ... إيران.. تحولاتها الداخلية وسياستها الخارجية، بيروت دار الساقي، 2006.

10- فواز جرجس، الأصولية الإسلامية في المنظار الأمريكية، شؤون الأوسط، العدد 101، شتاء 2001.

11- محمد سعد أبو عامود، الشيعة في الخليج وتفاعلات الصراع الأمريكي- الإيراني، مجلة السياسة الدولية، العدد 168، أبريل 2007.

12- محمد سعد ريان، الصراع علي الخليج ومحاولة توظيف الإسلام السياسي، قراءات في السياسة الواقعية ونظرية توازن القوي، مركز الحضارة العربية، الطبعة الأولي، القاهرة، 2005.

13- محمد معشوق الخزنوي، دور الدين في العلاقات الدبلوماسية وصناعة السلام، المعهد الدولي لأبحاث السلام، النرويج، 2005.

14- محمود سريع القلم، العلاقات الإيرانية-الأمريكية: مشاكل وتوقعات، شؤون الأوسط، العدد 119، صيف 2005.

15- نبيل عبد الفتاح، سياسيات الأديان، الصراعات وضرورات الإصلاح، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2003.

16- هيثم مزاحم، السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 سبتمبر (الحملة على إيران)، شؤون الأوسط، العدد 107، صيف 2002.

17- Jonathan fox Religion as an over locked Element of International Ralations, International studies Reviw, vol. 3 , I ssue 3, fall 2001.